يلجاون اليه من منازل السكنى واراضي الحرث وفي ذلك وفور للدنيا من اعواز وتعذر
الامكان ما لا خفاء به ولذلك ما ارهق الله خلقه باتساع الامل حتى عمر به الدنيا
فعم صلاحها وصارت تنتقل بعمرانها من قوم الى قوم فيتم الثاني ما ابقاه الاول
من عمارتها ويرمم الثالث ما احدثه الثاني من شعثها فتكون احوالها على
الاعصار ملتئمة وامورها على مرور الدهر منتظمة ولو قصر الامل
لما تجاوز الواحد حاجة يومه ولا تعدى ضرورة وقته ولكانت تنتقل
الى من بعده خرابا لا يجد فيها بلغة ولا يدرك منها حاجة ثم تنتقل الى
من بعد باسوا حال من ذلك حتى لا ينمي فيها نبت ولا يمكن فيها لبث وقد
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الامل رحمة من الله تعالى لامتي ولولا الامل ما
غرس غارس شجرا ولا ارضعت ام ولدا وقال الشاعر

وللنفوس وان كانت على وجل ... من المنية امال تقويها
فالمرء يبسطها والدهر يقبضها ... والنفس تنشرها والموت يطويها

فاما حال الامل في امر الاخرة فهو من اقوى الاسباب في الغفلة عنها وقلة الا
هتمام بها وقد افصح لبيد بن ربيعة مع اعرابيته بما بين به حال الامل في الامرين فقال

واكذب النفس اذا حدثتها ... ان صدق النفس يزري بالامل
غير ان لا تكذبنها في التقى ... واخزها بالبر لله الاجل

والفرق ما بين الامل والاماني ان الامل ما تقيد باسباب والاماني ما تجردت عنها
فهذه القواعد الست التي بها تصلح احوال الدنيا وتنتظم امور جملتها فان كملت
فيها كمل صلاحها وبعيد ان يكون امر الدنيا تاما كاملا وان يكون صلاحها عاما
لانها موضوعة على التغيير والفناء ومنشاة على التصرم والانقضاء سمع بعض
العلماء رجلا يقول قلب الله الدنيا قال اذا تستوي لانها مقلوبة وقال بعض الشعراء

ومن عادة الايام ان خطوبها ... اذا سر منها جانب ساء جانب
وما عرف الايام الا ذميمة ... ولا الدهر الا وهو بالثار طالب

وبحسب ما اختل من قواعدها يكون اختلالها وفسادها **فصل** فاما ما يصلح
به حال الانسان فيها فثلاثة اشياء هي قواعد امره ونظام حاله وهي نفس مطيعة

الى رشدها

الى رشدها منتهية عن غيها والفة جامعة تنعطف القلوب عليها ويندفع المكروه
بها ومادة كافية تسكن نفس الانسان اليها ويستقيم اوده بها **فاما القاعدة الاولى**
التي هي نفس مطيعة فلانها اذا اطاعته ملكها واذا عصته ملكته ولم يملكها
ومن لم يملك نفسه فهو بان لا يملك غيرها احرى ومن عصته نفسه كان
بمعصية غيرها اولى وقال بعض الحكماء لا ينبغي للعاقل ان يطلب طاعة
غيره وطاعة نفسه ممتنعة عليه وقال الشاعر

اتطمع ان يطيعك قلب سعدى ... وتزعم ان قلبك قد عصاكا

وطاعة نفسه تكون من وجهين احدهما نصح والثاني انقياد فاما النصح
فهو ان ينظر الامور بحقائقها فيرى الرشد رشدا ويستحسنه ويرى الغي غيا
ويستقبحه وهذا يكون من صدق النفس اذا سلمت من دواعي الهوى ولذلك
قيل من فكر ابصر واما الانقياد فهو ان يسرع الى الرشد اذا امرها وينتهي عن
الغي اذا زجرها وهذا يكون من قبول النفس اذا كفيت منازعة الشهوات
قال الله تعالى ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما وللنفس
ادابٌ هي من تمام طاعتها وكمال مصلحتها وقد افردنا لها من هذا الكتاب بابا
واقتصرنا في هذا الموضع على ما اقتضاه الترتيب واستدعاه التقريب
واما القاعدة الثانية التي هي الالفة الجامعة فلان الانسان مقصود
بالاذية محسود بالنعمة فاذا لم يكن الفا مالوفا تخطفته ايدي حاسديه وتحكمت
فيه اهواء اعاديه فلم تسلم له نعمة ولم تصف له مدة واذا كان الفا مالوفا
انتصر بالالفة على اعاديه وامتنع بهم من حساده فسلمت نعمته منهم وصفت
مدته عنهم وان كان صفو الزمان عسيرا وسلمه خطيرا وقد روى ابن جريج عن
عطاء عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المومن الف مالوف ولا خير
فيمن لا يالف ولا يولف وخير الناس انفعهم للناس وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا وان
تعتصموا بحبله جميعا ولا تفرقوا وان تناصحوا من ولاه الله امركم ويكره
لكم قيل وقال وكثرة السوال واضاعة المال وفي ذلك حث منه على الالفة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)